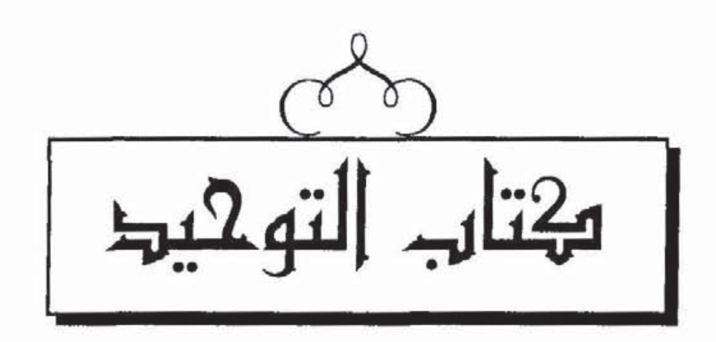


كتاب التوحيد



١ - باب حق الله على العباد ، وحق العباد على الله

أ - وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات : ٥٦].

ب - وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية [النحل: ٣٦].

أ- **التوحيد** : مصدر وحّد يوحّد توحيدًا .

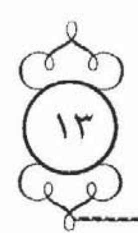
والتوحيد : إفراد الله تعالى بالعبادة.

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ هذه هي الحكمة الشرعية من خلقهم ، فلم يخلقهم ليكثر بهم من قلة ، كما أنه خلقهم ليبتليهم أيضًا.

كما قال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ وليعلموا صفاته ، كما قال : ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، فخلقهم ليعلمهم أنه الخالق الرازق ، والقادر وابتلاهم بالأوامر والنواهي والتكاليف ليعبدوه على بصيرة ، ولأجل هذا بعث الرسل وأنزل الكتب؛ ليعلموا حقه ويتمسكوا به.

ب - ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ .

أي : اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت.



ج - وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

د - وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ الآية [النساء: ٣٦].

هـ - وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١ _ ١٥٣]

والطاغوت : ما عبد من دون الله ، وهو راض ، أما ما عبد من دون الله ، وهو لا يرضى بذلك ، كالرسل والأنبياء ، فليسوا بطاغوت ؛ لأنهم لم يأمروا بذلك.

ج - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

أي : أمر وأوصى أن لا تعبدوا إلا الله ؛ لأنه هو المستحق للعبادة ، فلا إله إلا الله ، أي : لا معبود بحق إلا الله فاعبدوه وحده ، ولا تشركوا معه في عبادته أحدًا من نبي أو ملك ، أو ولي ، أو غير ذلك . فعلى الإنسان أن يحذر من الشرك كله.

د - ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ .

هـ - ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ . . الآيات.

أي : قل يا أيها الرسول : تعالوا أيها الناس أخبركم وأقص عليكم ما حرمه الله عليكم ، وأتل على علم ويقين ، لا عن شك وظن ، وأول هذه المحرمات : الشرك.

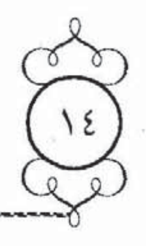
و «لا» : صلة . فحرم الشرك كما حرم المحرمات ، وأعظم هذه المحرمات هو الشرك.

والشرك : صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله.

واشتملت هذه الآيات على عشرة أمور:

الأول : الشرك.

الثـاني : الإحسان إلى الوالدين ، وذكرهما بعد ذكر حق الله ؛ يدل على



و - قال ابن مسعود : «مَنْ أراد أن ينظرَ إلىٰ وصية مُـحمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ

عظم حقهما، والإساءة إليهما من أجرم الذنوب والمعاصي ، وقرنهما الله بحقه في غير ما آية .

الثالث : عدم قتل الأولاد .

الرابع : عدم قرب الفواحش من الغيبة والنميمة والزنا والسرقة وغيرها .

الخامس: عدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .

السادس : عدم أكل مال اليتيم ، واليتيم هو الذي مات أبوه قبل الاحتلام .

السابع والثامن : الكيل والوزن بالقسط .

التاسع : الوفاء بعهد الله .

العاشر : العدل .

وعهد الله : ما أوصىٰ به من عبادته ، وعدم معصيته وإفراده .

والفـواحش : هي المعاصي ، وسميت بذلك ؛ لأن العقل السليم ينكرها ، والفطرة السليمة تنكرها .

والوصية : الأمر المؤكد ، أوصىٰ بشيء إذا أكده .

والعقلاء : هم الذين يعقلون هذه الأمور ، ويلتزمونها بعقولهم .

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ صراط الله، هو فعل الأوامر ، وترك النواهي، والإخلاص له ، فعليهم أن يستقيموا عليه ويلتزموا به .

﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾، والسبل : هي البدع، والأهواء، والشهوات المحرمة، وذَكَرَ التعقل أولاً ؛ لأن الـعبد يتفكر أولاً ، ثم يتأمل ، فيـعرف ، ويتذكر ، ثم يتقي فيعمل بما ينفعه ، ويترك ما يضره ويغضب ربه .

و - قال ابـن مسـعود : «من أراد أن ينظر إلىٰ وصيـة محمد ﷺ التي عليـها خـــاتمه ...» أي كأنه كتبهـا وختمها بختمه، فهـذه وصية الله ، وهي وصية من رسول الله ﷺ ، وكان الصحـابة قد أسفوا لما أراد النبي ﷺ أن يوصي ، ثم ترك ذلك، وذلك أنه حين أراد أن يوصي قال بعضهم: أحضروا كتابًا ، وقال بعضهم:

شَيْئًا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية»[(١)].

لا تشغلوه ، وهو مريض، فأمر بإخراجهم ، وقال: «**ما ينبغي عندي التنازع**»[(٢)].

قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ، ما حال بين الرسول وبين أن يكتب الوصية[(٣)].

(١) **فيه مقال** .

رواه الترمذي (٣٠٧٠) وقال حسن غريب -والطبراني في الكبير (١٠٠٦٠) وفي الأوسط (١٢٠٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩١٨) وابن أبي حاتم في التفسير (٨٠٥٦) من طريق محمد بن فضيل عن داود الأودي عن عامر بن شراحيل الشعبي عن علقمة بن قيس النخعي عن عبدالله بن مسعود به وداود الأودي في هذه الطبقة اثنان أحدهما داود بن عبدالله الأودي وهو ثقه والآخر داود بن يزيد الأودي وهو ضعيف وكلاهما روي عن الشعبي وروي عنهما محمد بن فضيل وقد جاء في الأوسط منسوبا ابن يزيد الأودي ولكنه من طريق خالد بن يوسف السمني عن محمد بن فضيل به وخالد السمني ضعيف ، وضعف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي صـ٣٧٥ قال : ضعيف الإسناد .

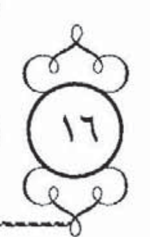
وقد يترجح داود بن عبد الله الثقة لأن المزي لما ذكره في تهذيب الكمال رمز لروايته عن الشعبي بـ (ت) وعنه محمد بن فضيل بـ (ت) ولما ترجم لابن يزيد رمز لروايته عن الشعبي بـ(ق) تهذيب الكمال (٨/ ٤١٢, ٤٦٧) وحديثنا رواه الترمذي من هذا الطريق .

ولذا قال المباركفوري في شرحه «تحفة الأحوذي» (٨/ ٤٤٦) وعن داود الأودي الظاهر أن داود هذا هو داود بن عبد الله الأودي ،وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٣) ط دار الكتب إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردوية .

(٢) **صحيح** .

رواه البخاري (١١٤) ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس .

(٣) كلام ابن عباس رضي الله عنه ذكر بعد رواية البخاري ومسلم السابقة .



ز- عن معاذ بن جبل ﷺ قال : «**كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا ، قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا**»[٤] . أخرجاه في الصحيحن.

وجاء في الحديث: أن الرسول ﷺ قال لأصحابه : ألا تبايعوني على هذه الآيات؟[٥]

ز- وعن معاذ ﷺ قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال...

في الحديث تواضع النبي ﷺ ، وحسن خلقه من وجوه: كونه راكب على حمار، وكون له رديف ، ومحادثته لمعاذ رديفه، بخلاف ما يفعله بعض المتكبرين.

وفيه : إخراج الفائدة والحكم بصيغة السؤال ، وهذا له وقع في قلب السامع ، ويكون متهيئًا ومتحمسًا للجواب ؛ بخلاف ما لو ذكر الحكم ابتداء، فربما لم ينتبه السامع.

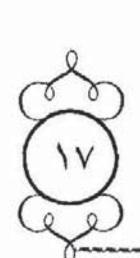
---

(٤) **صحيح**.

رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل .

(٥) **إسناده ضعيف** .

رواه الحاكم (٢/ ٣١٨) وابن أبي حاتم في التفسير (٨٠٧٧) من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ «**من يبايعني على هؤلاء الآيات فذكره**» وفي الإسناد سفيان بن حسين وهو إن كان ثقه إلا أنه ضعيف في الزهري وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١١٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردوية وعزاه صاحب «فتح المجيد» إلى محمد بن نصر في «الاعتصام» .



. . . .

وقوله : الله ورسوله أعلم . فيه حسن خلق معاذ ، حيث لم يتكلف ما لا يعلمه ، وهـذا هو الواجب أن يقول: لا أدري ، أو الله ورسوله أعـلم، في حال حيـاته ، وبعد وفـاته يقول: الله أعلم ، أو لا أدري ، ولا يقـول : الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي ﷺ لا يدري ما أحدث الناس بعده كما في حديث الحوض حين يقول: «**أصحابي أصحابي ، فيقال له : إنك لا تدري ما أحدث الناس بعدك**»(٦) .

اهـ



(٦) **صحيح**.

رواه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (طرف حديث ٢٤٦) .

